المحاضرة الخامسة: تابع لعنوان: المصادر الكلاسيكية.

فان كانت النصوص الأولى التي تطرقت الى المجتمع الافريقي قد وصلت الينا عن طريق الشاعر الاغريقي هوميروس في القرن الثامن قبل الميلادي الذي أشار إليهم بمصطلح "**اثيوبيا**" فان دلالته يقصد به "**الانسان الافريقي**" أي الانسان الذي أحرقت اشعة الشمس بشرته[1] وهذه التسمية استمرت أيضا حتى في القرن الرابع قبل الميلادي لتشير الى مملكة **اكسوم**، اذ ايثيوبيا هي ترجمة اغريقية لاسم اكسومي الأصل وهي «حبشة".

على العموم بغض النظر عن أثار لتواجد العنصر الافريقي في المصادر القديمة فان ثمة معلومات أكثر نسبيا، اهتمت بأقاليم انتشار المجتمعات الافريقية اذ تقطن المناطق ما وراء الصحراء الكبرى مثلما نقله لنا **بلينيوس** عن كتاب **بوليبيوس** ان هذا الأخير أبحر الى مناطق المحاذية لسلسلة جبال الاطلس من الجنوب المطلة لسواحل الأطلسي اذ عثر على قبائل **الجيتول** و **الاثيوليون** و **الاوطولول**.

في الفترات التي تعود الى العهد الروماني نجد وصف **ستر ابون** الذي ذكر لنا أيضا قبائل **الجيتول** و **النزامونس** هؤلاء ما لبثوا في العهد الروماني ان دخلوا في صدام مع الجيوش الرومانية و كان هو السبب الرئيسي لوصول معلومات عنهم مع احتكاك الشعوب الافريقية لما وراء الصحراء بالحضارات الكبرى.

كما يجب ان نشير الى أسبقية القرطاجيين قبل الاغريق والرومان في اتصالهم بالعالم الافريقي خاصة المجتمعات القريبة من الحواضر الساحلية اذ نسج هؤلاء اواصل التقارب المتمثلة في التبادلات التجارية مما أدى الى تنامي التجارة في الأراضي الافريقية وانعكس هذا على التبادلات الثقافية والحضارية من كلا الجانبين ومثال رحلة القائد القرطاجي **حنون** الذي استكشف السواحل الغربية لإفريقيا، دليلا على هذا الاهتمام بالأراضي الداخلية لإفريقيا وأهمية منتوجاتها التي اوصلها القرطاجيون الى العالم المتوسطي. في هذا المجال نضع لأنفسنا سؤالا جوهريا **حول تاريخ بداية** هذه العلاقات بين عالمين: افريقيا (افريقيا ما وراء الصحراء) والعالم المتوسطي المتحضر الذي أرسي مراكزه الحضارية على السواحل الشمالية لإفريقيا؟ الجواب يكون صعبا عندما نبحث عن المصادر التي هي منعدمة أصلا، خاصة اذا اخذنا اتجاه المسالة جنوبا-

[1]-في هذه التصنيف لا يحمل رمزية العنصرية التي اخذته التسمية فيما بعد خاصة في الفترات الاستعمارية و لكن يتوقف التصنيف على تحديد لون البشرة على ضوء تاثير المناخ على الانسان

شمالا (اذا اعتبرنا هذه التبادلات انطلقت من الجنوب الى الشمال) ، انطلاقا من التجارة البرية العابرة للصحراء و اما اذا اخذناها عكسيا من الشمال الى الجنوب انطلاقا من العالم المتوسطي فان الامر يختلف بحث نجد بعض من الإشارات النصية التي توحي الى هذه العلاقات .على العموم، من اهم اثار لهذه التبادلات و العلاقات لدينا قصة – **نيشاو Néchao**[2] الذي اخبرنا عنه كل من **هيرودوت** و **سترابون** على التوالي و هي قصة رحلة هذا الأخير من بحر الأحمر وصولا الى مصب وادي النيل، الرحلة التي دامت مدة ثلاث سنوات و يجدر الإشارة ان هذه القصة قد وافقت الكتابة النقيشة باللغة الاغريقية القديمة التي عثرت بمعبد أبو سنبل المصري[3]. ثم مثلما ذكرناه في الأعلى، رحلة القائد القرطاجي التي اشتهرت برحلة **حنون**[4] ورجح تاريخها الى القرن الثالث قبل الميلادي وهي الرحلة الوحيدة التي تركت لنا اثرا عن السواحل البحرية لغرب افريقيا خاصة.

من اهم المصادر التي يعتمد عليها أيضا المتتبع للتاريخ القديم لإفريقيا، نجد شخصية **بومبوليوس ميلا** الذي ترك لنا كتابا مهم حول " **وصف الأرض**" وما وصلنا من بعض فصول الكتاب، مقتطفات من الجزء الثالث: الفصلين التاسع والعاشر الذي اختص بذكر وصف افريقيا السمراء وسواحلها الغربية. في هذا الاطار، يجدر بنا أيضا، التطرق الى كتاب المؤرخ الروماني **سالوستيوس** " **حروب يوغرطة**" الذي يعتبر الأول في تصنيفه للشعوب الافريقية ابتداء من الأراضي النوميدية حيث ميز: **الجيتول** و **الافارقة السود** ثم الصحراء الكبرى...

تكمن أهمية كتاب سالوستيوس في المصادر التي اعتمد عليها في ترسيمه له، بحيث ذكر لنا شخصيا في بعض فقرات كتابه انه اعتمد على مصادر محلية و بونية، مما يدل بطريقة غير مباشرة ان سكان افريقيا كانت لهم دراية حول تاريخهم المباشر.[5]

من اعداد الأستاذ يوغرطة حدادو

متخصص في التاريخ القديم وحضارات ما قبل التاريخ للمغرب القديم وافريقيا

[2] - أحد ابناء الملك الفرعوني بساميتيك الأول في العهد الاصرة 26 الفرعونية 610-595 ق.م.

[3] -الكتابة رجحت الى القرن السادس قبل الميلادي.

[4]- وصلت الينا القصة عن طريق مخطوط الذي عرف بمخطوط هيد برج Heidelberg والذي يعود الى القرن التاسع الميلادي.

[5] -سالوستيوس. حروب يوغرطة، 27 .